



أقلقت النكهة الإسلامية لـ «الربيع العربي» خبراء روسيا وجنرالاتها. توقفوا من موجة عاتية معدية. من تسلل جاذبية «الربيع» إلى المسلمين من أبناء الاتحاد الروسي، وعدهم يزيد على عشرين مليوناً. التفتوا أيضاً إلى هشاشة الأوضاع في دول الحزام الإسلامي على أطراف الاتحاد. لم ينسَ هؤلاء أن المشاعر الدينية أدمنت «الجيش الأحمر» السوفيياتي في أفغانستان وأرغمنته على المغادرة.

عكفت مجموعة من الخبراء برئاسة فيتالي نعومكين على درس الغليان الضارب في الشرق الأوسط، وتأثيراته في مصالح روسيا وخياراتها.

وفي أواخر العام 2012 رفعت المجموعة تقريرها إلى الكرملين. اعتبر الخبراء أن من مصلحة روسيا تعزيز تحالفها مع إيران والعراق، ولفتوا إلى أن أي خسارة لمحور طهران - بغداد تُلحق الضرر بالمصالح الروسية.

رأى الخبراء أيضاً أن روسيا ستكون مستفيدة من أي تطور يدفع الدول الخليجية إلى الانشغال بأوضاعها الداخلية، خصوصاً أن هذه المنطقة منافس جدي لروسيا في أسواق الطاقة.

يمكن أن نضيف إلى التقرير زلة لسان ارتكبها سيرغي لافروف وعبرت عن مشاعره، حين قال أنه لا يمكن القبول بوصول «المجموعات السنّية» إلى السلطة في سوريا لأنها تشكل خطراً على مستقبل ذلك البلد.

ويخشى الخبراء الآن من أن يؤدي أي انسحاب أمريكي كامل من أفغانستان إلى تسهيل تمرز «داعش» في هذا البلد. يخشون أن توقف جاذبية «الخلافة النائمة» أو المعلنة في أوزبكستان وكازاخستان وطاجيكستان وقيرغيزستان.

هل تشكل الرغبة في ضرب «داعش» القاسم المشترك بين موسكو وطهران، أم إن الطرفين يلتقيان أيضاً على ضرورة إضعاف ما يعتبرونه الدور السنّي في الإقليم، خصوصاً دور مجلس التعاون الخليجي بقيادة السعودية؟

وهل يعتبر إضعاف اللاعب السنّي في المنطقة جزءاً من عملية إضعاف الدور الأميركي؟

الشائع أن الدور السنّي في المنطقة يتمثل تقليدياً في ثلاثة أدوار تلتقي وتمايز وتفترق، وهي الدور السعودي والدور المصري والدور التركي.

ويلاحظ هؤلاء أن الدول الثلاث مستهدفة الآن أو منشغلة بنزاعات عند حدودها أو داخلها. أرغمت مغامرة الحوثيين وعلى عبدالله صالح السعودية على الانخراط في حرب في اليمن.

يقاتل الجيش المصري حالياً في سيناء وعينه على الرياح الواقفة من ليبيا. يقاتل الجيش التركي الآن داخل أراضيه وأحياناً خارجها.

واضح أن إيران نفذت في العقد الماضي إنقلاباً صريحاً على الدور السنّي في المنطقة. عزّزت قبضة التحالف الشيعي في بغداد. منعت من سماهم لافروف «المجموعات السنّية» من الانتصار في سوريا. اجتذبت الحوثيين في اليمن إلى سياستها، ودعمت ممارسات متشددة في البحرين، وقلّصت حدود الدور السنّي في لبنان.

تستخدم إيران عناوين أخرى لتسمية سياستها، لكن المحصلة هي سعيها إلى تقليص الدور المنافس لها في الإقليم.

يتفق العارفون بتركيبة المنطقة في القول أن الدور الحاسم في إلحاقي الهزيمة بـ «داعش» لا يمكن أن يلعبه إلا أبناء المناطق السنّية التي انتزع التنظيم السيطرة عليها، وتعانياليوم وطأة ممارساته. يتربّد التحالف المسيطر في بغداد في إعطاء السنة هذا الدور لأنّه يعزّز مطالباتهم بالعودة إلى شراكة فعلية في إدارة العراق.

السنة في سوريا هم الأقدر على محاربة «داعش»، لكن قيامهم بهذا الدور يعزّز حقهم في المطالبة بمشاركة كاملة في السلطة.

الآن، هل ينطبق «لائحة» بقارات لا تغير على البيئة التي نعيش فيها قد تغير البيئة في محيطنا؟

¹ مثلاً زائير «داعش» وهو شقيق عمه سالم الذي قاتل في الميدان، فـ«داعش» طلبوا مدعواً

ظهور قناعة من هذا النوع سيجعل التدخل الروسي مقدمة لما هو أدهى. سيفتح الباب لولادة أفغانستان جديدة على الأرض السمرقة، وسيحدث نزاع من هذا النوع صداقه على أطراف الاتحاد الروسي، وبما داخله.

أغلب الظن أن فلاديمير بوتين لا يريد تكرار خطأ ليونيد بريجنيف. لا يريد أفغانستان جديدة ولا فيتنام روسية على الأرض العربية. لكن قطع الطريق على احتمالات من هذا النوع يلزم روسيا بالإسراع في توظيف تدخلها العسكري في بلورة حلٍ في سوريا، بعيداً من مشروع الانقلاب على الدور السنّي.

الحياة اللندنية

المصادر: